

وكان هذا البيت الذى شهد كل تلك الأحداث بالأزبكية ، مطلا على بركتها المشهورة . يقول الجبرتى : « ان الرغبة فى سكن هذه البركة انما كان لتسريح النظر وانسباط النفس باتساعها واطلاقها وخصوصا ايام النيل حين تمتلئ بالماء فتصير لجة ماء دائرة بركارية مملوءة بالزوارق والقنج والشطيات المعدة للنزهة تسرح فيها ليلا ونهارا . وعند دخول المساء يوقدون القناديل بدائرها فى جميع قواطين البيوت فيصير لذلك منظر بهيج لا سيما فى الليالى القمرية فيختلط ضحك الماء فى وجه البدر والقناديل وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضا وصدى أصوات القيان والأغانى فى الليل لا تعد من الأعمار اذ الناس ناس والزمان زمان » (١) .

وفى أواخر ايام اسماعيل عند تنظيم بركة الأزبكية وما حولها اخذت دار السيد على البكرى المذكورة واعطاهم الخديو بدلا منها سراى سعيد باشا بالخرنفس ، وهى سراى ضخمة انتقلت اليها الأسرة البكرية فماتت اجنتها العديدة ، ومنها كان يخرج المحمل الشريف وفيها كانت تقام ليالى المولد النبوى كما يقول على مبارك فى الخطط التوفيقية (٢) .

كان هذا هو منزلى الرسمى الذى تقام فيه الاحتفالات والاجتماعات الهامة ، وتسكنه الأسرة البكرية كلها كما قلنا ، اما فى الشتاء فينتقل الى بيته بضواحي شبرا ، وهناك على مدى النظر لا تكاد ترى سوى بساتين وحدائق وخضرة مترامية ، اما البيت نفسه فأية فى الفن العربى خاصة فى الزخرفة ، واذا دقت النظر ، وجدت دائرة كبيرة تحكى قصة البيت بماء الذهب منظومة فى قصيدة طويلة مطلعها :

كتب الحسن بأقلام الذهب فى طراز لازوردى عجب

(١) راجع بيت الصديق ص ٢٩٧ .

(٢) راجع بيت الصديق ص ٤٠٠ .